تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد،

فإن موضوع الاتصال الجماهيري موضوع له أهميته العلمية والسياسية، لما يترتب عليه من آثار عظيمة في التقنيات والوسائل المستعملة -قديما وحديثا- في التدافع الحضاري المزمن بين الأمم والشعوب منذ آلاف السنين.

ونحن، بحاجة أكثر من غيرنا إلى الإحاطة المعرفية بمثل هذه الوسائل الاتصالية، وخاصة منها ما يعرف باسم التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال، وذلك بغية تعميم وتعميق إدراكنا ووعينا بأهميتها في سير المجتمعات، ومسايرة هذا التطور التكنولوجي الهام الذي أصبح ضرورة حيوية وسلاح حضاري حاسم في التنافس أو التدافع الثقافي، السياسي، الاقتصادي، التجاري أو الحربي في عصر بلغت فيه مختلف التحديات الحضارية أوجها...

بالإضافة إلى هذه الحاجة الطبيعية العامة، فإن حاجة الجامعيين عموما وطلبة الإعلام والاتصال، العلاقات العامة، العلوم السياسية، الأدب وعلم اجتماع الاتصال في الجزائر خصوصا إلى مراجع في هذا المجال واضحة وملحة.

ومن هنا كانت محاولتنا هذه (الاتصال: مفاهيمه، نظرياته ووسائله) كمساهمة متواضعة لتلبية بعض الحاجات المعرفية العامة والتوثيقية الخاصة للطلبة والأساتذة والمهتمين. ولأن وسائل الاتصال بتكنولوجياتها الحديثة تعتبر الجزء الأكثر شيوعا ودراسة لذا المهتمين بعلوم وتخصصات الاتصال، فإنها حظيت بمعالجة أوفر في هذا العمل (الفصلان الثالث والرابع).

وتجدر الإشارة هنا إلى أننا لم نأخذ بعين الاعتبار في مضمون هذين الفصلين الخاصين بالوسائل الاختلاف الواضح الموجود بين طبيعة ونمط ما قد يسمى بالوسائل أو "الأدوات، الأساليب، التقنيات، الطرق، القنوات أو الوسائط..." عند تصنيفنا لها وتخصيصها بالعرض (فالكتاب غير الراديو، والتلفزيون غير القمر الصناعي أو الإنترنت، الخ). كما أننا لم نقتصر في عرضنا الموجز لها على الشائع منها لدى العامة والخاصة باسم وسائل الاتصال الجماهيري التقليدية والتي تحصرها في أربع: سينما، راديو، صحافة وتلفزة. ومن جهة أخرى، لم نتعرض للبعض

منها بالرغم من اعتبارنا له وسائل اتصال أيضا، مثل: المسرح... لاعتبارات ذاتية وموضوعية. بل فضلنا التركيز على عينة تمثيلية كبيرة منها.

أما الفصل الأول التمهيدي فقد خصص لإعطاء تعاريف عامة للاتصال (مع مقارنته بالإعلام) ولأنواعه ونماذجه. بينما عالج الفصل الثاني بعض المقاربات النظرية والبحثية في مجال الاتصال.

وبذلك نحسب أننا نكون قد زودنا القارئ الكريم بجملة من المقدمات، شملت المفاهيم والأسس والوسائل، لتيسير ولوجه في عالم علوم وتخصصات الاتصال.

وفي الأخير، لا يسعنا إلا أن نرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع نافعا لما يهدف إليه، والله ولي التوفيق.

تمهيد : أهمية الاتصال

لم يعد خافيا أننا نعيش عصر الاتصال الجماهيري والمعلوماتي فقد تقدمت تقنيات الاتصال بشكل مثير وتعددت وسائله وتطبيقاته لتتجاوز مجالات الحياة الشخصية، العمل، والتسلية لتشمل المؤسسات والمنظمات والإدارات الكبيرة، أي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والرياضية. كما توسعت مع هذا التعدد وذلك التقدم وسائل الإثارة المختلفة معتمدة على أحدث ما ابتكره العلم غزوا للعقل والنفس معا... إلى درجة أصبح فيها موجهوه باستطاعتهم أن يتلاعبوا بعقول الناس ونفسياتهم. بمعنى أنه من يستطيع أن يدخل على نفس الإنسان وأن يؤثر في عقله، يملك الإنسان كله ويجعله مواليا له، مناصرا لرأيه، مؤمنا به. والأخطر من ذلك فإن التلاعب بتكنولوجيا الرقمي وتقنيات الرمامة والتركيب بدأت تغير من علاقة الناس بالواقع وتزيد من خطورة تزايد مصداقية تشويه الواقع وتزويره وابتداعه لدى عامة الناس، بحيث قد يصبح من الصعب جدا لديهم التفرقة بين ما هو واقعي وما هو افتراضي.

ومع ذلك فإن الاتصال في أصله يبقى وسيلة حيادية تستعمل للبناء أو الهدم على السواء. ولذلك فهو مسؤولية لازمة ومتعدية: الحديث بين اثنين (الاتصال الشخصي) أو الاتصال الجماهيري (السمعي، البصري، السمعي البصري) الذي يشمل الملايين من البشر بواسطة الأقمار الصناعية والموجات الكهرومغنطسية عبر الراديو أو التلفاز أو الإنترنت...

ولإتقان استعمال هذه الوسائل الحاسمة برزت في العصر الحديث الدراسات النفسية الاجتماعية التي تتغلغل في أسرار النفس البشرية وفي محيطها. إن أبرز ما ظهر من آثار هذه الدراسات: الحرب النفسية، التي كان لها مجال واسع في كسب المعارك العسكرية في الحروب الحديثة، والمعارك الانتخابية في الحرب الإعلامية في المجال السياسي، وكذا تفعيل اتصال المؤسسات في المجال الخدمي والتجاري... لهذا كانت دراسة الاتصال في هذا العصر أمرا لازما للأفراد والجماعات على حد سواء، بحيث أخذت كمية المعلومات اللازمة للنشاط الفردي والجماعي في الازدياد المطرد. مما فرض القيام بعمليات اتصال أكثر كثافة وسرعة. إن من يتحكم في هذه العملية الاتصالية هو الأقوى والأكثر فعالية.

ومن ثم نال موضوع الاتصال اهتماما واسعا ومتزايدا من قبل الباحثين في ميدان العلوم الإنسانية الذين يعالجون عملية الاتصال بوصفها عملية اجتماعية وضرورة من ضرورات

استمرار الحياة الاجتماعية ذاتها. وازداد الاهتمام بأساليب السيطرة الاجتماعية وتوجيه الـرأي العام بتطبيق مناهج البحث الحديثة في هذا المجال وذلك لأغراض متعددة: تربويـة، سياسـية، عسكرية و/أو تجارية.